ملحق
صدى الولاية
العدد 45

الحج استعراض للهوية الموحدة للأمة

نداء الحج للإمام الخامنئي دام ظله
بتاريخ ٣ ذي الحجة ١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وصحبه الصادقين

لقد حلّ موسم الحج، كما في كل عام، حاملاً معه البشائر المعنوية، ليضع فرصة ثمينة أمام العالم الإسلامي؛ ورغم أن القلوب المتلهفة تطير شوقاً إلى تلك الجهة من كل مكان، إلا أن المحظوظين الذين يتسنى لهم نيل هذه الأمنية لا يشكلون إلا غيضاً من فيض. وهذا بدوره يشكل مصدر هذا التواصل الخالد لهذا النبع المتدفق باستمرار.

إن اللقاء الذي يتكرر سنوياً بين الإخوة في بيت الحبيب، يُعيد ربط القلوب بقبلة الكون من جهة، وبالأحبّة الذين يعيشون منفصلين عن البعض من جهة أخرى؛ ليبعث النشاط والحيوية في جسد الأمة الإسلامية من الناحيتين الروحية والسياسية.

إنه لزاد ثمين للإنسان أن يتحرر مطلقاً في كل مكان وعمل من الأدران المادية، ويرى الله ولو لأيام معدودات. وإن جميع مناسك الحج وآدابه إنما هي من أجل أن يعيش الحاجّ هذه التجربة الروحية، وأن يحسّ بهذه اللذة في أعماق نفسه.

أما من الزاوية السياسية، فإن المحور الرئيس في الحج، هو استعراض الهوية الموحّدة للأمة الإسلامية. إن التباعد بين الإخوة يفسح المجال لمن يتربص بهم من الحاقدين وينمّي بذور التفرق بين المسلمين.

إن الأمة الإسلامية تتكون من شعوب وأعراق وأتباع مذاهب عديدة. وإن هذا التنوع المصحوب بالتوزع الجغرافي في منطقة حساسة ومهمة من وجه المعمورة، من شأنه أن يشكل - بدوره - مصدر قوة لهذا الجسد العملاق؛ و أن يزيد من فاعلية تراث الأمة وثقافتها وتاريخها المشترك على نطاق واسع؛ وأن يجنّد أنواع المواهب والطاقات الإنسانية والطبيعية في خدمتها.

وقد استهدف الإستعمار الغربي هذه النقطة ذاتها منذ دخوله البلدان الإسلامية وظل يعمل باستمرار على إثارة ما يبعث على الفرقة والشقاق.

إن الساسة المستعمرين كانوا يعلمون جيداً أنه مع تبلور الهوية الموحدة للعالم الإسلامي، سينسدّ الطريق أمام هيمنتهم السياسية والاقتصادية. فدأبوا على العمل في نطاق شامل وبشكل طويل الأمد لتصعيد الخلافات بين المسلمين. وتحت مظلة هذه السياسة الخبيثة، استغلوا غفلة جماهير الأمة والنفسية المتخاذلة للقادة السياسيين والثقافيين، فنجحوا في مسعاهم الرامي إلى فرض السيطرة على البلدان الإسلامية.

ومع بداية الصحوة الإسلامية التي شكل قيام الجمهورية الإسلامية في إيران ذروتها، أصبح معسكر الاستعمار الغربي أمام تهديد كبير. إن فشل المدارس السياسية الشرقية منها والغربية، وانكشاف عدم مصداقية القيم التي كان المستعمرون يقدمونها باعتبارها السبيل الوحيد لسعادة البشرية، وانهيار هذه القيم؛ قد أدى إلى تأصل الوعي الإسلامي بين الجماهير المسلمة. كما أن حالات الفشل المتلاحقة التي مني بها المستكبرون في مسعاهم للتغطية على هذه الشعلة الإلهية وإطفائها؛ قد أنمت شجرة الأمل في نفوس الشعوب المسلمة.

إن إلقاء نظرة على فلسطين اليوم التي وصلت فيها إلى السلطة حكومة ملتزمة بمبدأ (التحرر من الإحتلال الصهيوني) كمبدأ لا يمكن المساس به، والمقارنة بين هذه الحالة وبين ما كان الشعب الفلسطيني يعاني منه في الفترة الماضية من غربة وعزلة وعجز وضعف؛ ومن فلسطين إلى لبنان، حيث تمكن المسلمون المتفانون هناك من إلحاق الهزيمة بالجيش الإسرائيلي المدجج بكامل السلاح رغم كل المساعدات التي كانت تتدفق عليه من قبل أمريكا والغرب والمنافقين؛ والمقارنة بين ذلك وبين لبنان الذي كان الصهاينة قد اعتادوا أن يتوغلوا فيه متى شاؤوا إلى أي عمق من أعماق أراضيه دون أن يجدوا أي مانع أمامهم؛ وإلى العراق الذي مرّغ شعبه الغيور أنف أمريكا المتغطرسة في التراب وورّط في مستنقع من المشاكل السياسية والعسكرية والاقتصادية ذلك الجيش والساسة الذين كانوا يتشدقون - بنبرة الغرور والاستعلاء - بتملكهم للعراق؛ والمقارنة بين هذا وبين العراق الذي كان حاكمه السفاح قد حبس أنفاس الناس في الصدور محتمياً بأمريكا؛ وإلى أفغانستان التي تبين أن جميع الوعود الأمريكية والغربية فيها كانت كذباً وخداعاً، وأن الغزو الذي تعرض له هذا البلد من قبل جبهة التحالف الغربي وبشكل قلما يوجد له نظير، لم يؤدّ إلا إلى الخراب والدمار للبلد وإلى الفقر والمجازر للمواطنين بالإضافة إلى تنامٍ مطّرد لمافيا المخدرات.

وأخيرا، إلى شريحة الشباب في البلدان الإسلامية وإلى الجيل الصاعد، الآخذ في النمو، الذي أصبح ينمو ويترعرع مقبلاً على القيم الإسلامية وهو يحمل بغضاً يتزايد يوماً بعد يوم تجاه أمريكا والغرب؛ نعم، إن إلقاء نظرة على كل ذلك يبين صورة حقيقية لما للمستكبرين الغربيين وعلى رأسهم أمريكا، من حظّ عاثر وسياسات فاشلة، كما أنه يبشر بتبلور هوية إسلامية موحدة.

إن الإدارة الأمريكية والرأسمالية الغربية والنشطاء المفسدين من الصهاينة كلهم أصبحوا يشعرون بحقيقة الواقع المتمثل في الصحوة الإسلامية. وإنهم يستعينون بكل طاقاتهم المتاحة، لممارسة أنواع الألاعيب والأساليب السياسية، معترفين بعدم فاعلية الأسلحة والقوة العسكرية أمام هذه الحقيقة.

اليوم هو يوم يجب فيه على الأمة الإسلامية بنخبها السياسية والثقافية والدينية، وبجماهيرها الشعبية أن تكون يقظة أكثر من أي وقت مضى، وأن تعرف مكائد العدو وتتصدى لها.

إن تأجيج نار الخلاف والشقاق، هو من أكثر المكائد فاعليةً. إنهم ينفقون الأموال ويبذلون جهوداً مرتبكة حثيثة، لإلهاء المسلمين بالخلافات التي تنشب فيما بينهم، ويستغلون مرة أخرى حالات الغفلة وسوء الفهم والتعصب لتحريضنا ضدَّ بعضنا.

إن كل حركة تؤدي إلى الفرقة والخلاف في العالم الإسلامي، تعدُّ ذنباً تاريخياً. فإن أولئك الذين يكفِّرون بكل عناد جماعات كبيرة من المسلمين بحجج واهية، والذين يسيئون إلى مقدسات فرق من المسلمين على أساس ظنون باطلة، والذين يطعنون من الخلف الشبان اللبنانيين المتفانين الذين رفعوا رأس الأمة الإسلامية عزاً وفخراً، والذين باتوا يتحدثون عن خطر وهمي يسمى الهلال الشيعي استرضاء لأمريكا والصهاينة.

... إن هذه المرحلة هي مفصل تاريخي مصيري. وإن النخب والعلماء والمثقفين، يتحملون مسؤولية جسيمة في هذه المرحلة.

... إن أجهزة التجسس الأمريكية والبريطانية قد عكفت اليوم على بث فيروس الخلافات الطائفية في العراق وفي لبنان وفي بعض دول شمال أفريقيا وفي أي مكان آخر تقدر عليه. فلا بد لاجتماعنا في الحج أن يحصِّننا ضد هذا الداء المهلك، وأن يجعل نصب أعيننا دوماً الآية الكريمة: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

إن البراءة من المشركين تشكل اليوم نداء القلب والفطرة لجميع الشعوب المسلمة. وإن موسم الحج هو الموقع الوحيد الذي يمكن لهذا النداء أن يدوِّي فيه بكل قوة من قبل هذه الشعوب كافة.

اغتنموا هذه الفرصة، واغتسلوا أينما كنتم في هذا المحيط العظيم، مبتهلين إلى الله بالدعاء للأمة الإسلامية ولتعجيل ظهور المهدي الموعود (سلام الله عليه وعجل الله تعالى فرجه).

أسأل الله لكم جميعاً التوفيق والسعادة والحج المقبول.